مقدمة

كتابة النص الدرامى، أو الدراما بين المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون أو كيفية الكتابة لكل مجال من هذه المجالات الأربعة؟ هذا هو موضوع الكتاب.

وبما أن المسرح سبق الفنون الأخرى - السينما والإذاعة والتليفزيون - بآلاف السنين، فأرى من واجبى أن يكون المسرح صاحب الصدارة دائمًا فى أى فرع من فروع الكتاب، حيث يجب أن أتبع التسلسل التاريخى لنشأة كل من هذه الفنون، وبعد الحديث عن المسرح سيكون دور السينما حيث بدأت تظهر على مستوى العالم فى أخريات القرن الماضى وأوائل هذا القرن. ثم الإذاعة التى بدأت فى العشرينات من هذا القرن. وآخر ما ظهر من هذه الفنون هو التليفزيون، والذى ظهر فى الأربعينات..

فإذا اعتبرنا أن أسس التأليف واحدة، فمن الطبيعى عندما

يختلف الوسيط لابد أن يكون هناك أوجه اختلاف بين كل وسيط وآخر، وكذلك أوجه اتفاق. بالإضافة إلى ما يجب أن يكون موجودًا من صفات مميزة لكل وسيط.

فكيف يحاكى المسرح مشاهديه؟ وكيف تحاكى السينما مشاهديها؟ وكيف تحاكى الإذاعة مستمعيها؟ وكيف يحاكى التليفزيون - أحدث الوسائل - مشاهديه؟

هذه هى التساؤلات التى عندما أفرغ من الإجابة عليها أكون قد انتهيت من الكتاب، ولكن هل يمكن لأى إنسان تنقصه موهبة التأليف أن يكتب مسرحية لمجرد أنه قرأ هذا الكتاب؟ إن المؤلف الذى يظن أن فى وسعه أن يكتب مسرحية مثلا وفق ما جاء فى الكتاب، ومن خلال تلك القواعد والأسس، يركب رأسه، فتلك قواعد تقليدية، وعليه هو أن يدركها، ثم يكتب من خلال إعمال عقله وليس من خلال القواعد. ثم يترك ما كتب للنقاد، عسى أن نصل إلى أساليب جديدة فى الكتابة، ومذاهب فنية وأدبية جديدة، دون التوقف على أساليب أو مذاهب معينة قد توارثناها.

فى التمهيد للكتاب سأتناول نشأة الدراما منذ العصور البدائية وحتى أرسطو، حيث قام بتعريف الدراما ونَظَّر لها. وذلك كمدخل عام لموضوع الكتاب.

ثم يجىء موضوع الكتاب. بداية بالعناصر التى يتكون منها النص الدرامى أو التمثيلى، ويبدأ بتمهيد حول تعريف المسرحية.

والمصادر التى يستقى منها الكاتب موضوعاته، ثم أربعة أبواب:

الباب الأول: وعنوانه الحوار. وهو يتكون من أربعة فصول هى: الحوار فى المسرح، الحوار فى السينما، الحوار فى الإذاعة، ثم الحوار فى التليفزيون.

والباب الثانى: تحت عنوان الشخصيات، ويقع فى ثلاثة فصول: الشخصيات فى المسرح، الشخصيات فى السينما والتليفزيون، والشخصيات فى التمثيلية الإذاعية.

أما الباب الثالث: فعنوانه الحبكة، وهو من أربعة فصول: الحبكة (العقدة) فى المسرح، بين الحبكة والسيناريو فى السينما، الحبكة فى الإذاعة، وبين الحبكة والسيناريو فى التليفزيون.

أما الباب الرابع: فخصصته للموسيقى والمؤثرات الصوتية والمناظر. وهو من أربعة فصول أيضًا: الموسيقى والمؤثرات الصوتية والمناظر فى المسرح، ثم فى السينما، ثم الموسيقى والمؤثرات الصوتية فى الإذاعة، والفصل الرابع والأخير حول الموسيقى والمؤثرات الصوتية والمناظر فى التليفزيون.

فأسأل الله أن يوفقنى فيما أنا بسبيله.

والله خير موفق

عادل النادى

القاهرة فى ١٩٨٣/١٠/١.

obeikandl.com

تمهيد

نظرة تاريخية عامة على كلمة دراما

«إن كلمة دراما مشتقة من الفعل اليونانى القديم (دراؤ) بمعنى (أعمل)، فهى تعنى إذن أى عمل أو حدث سواء فى الحياة أو على خشبة المسرح[1] فإذا نظرنا إلى كلمة «دراما» على أساس أنها عمل أو حركة أو حدث فهى محاكاة، لأن المحاكاة تشتمل على العمل والحركة والحدث. وقياساً على ذلك، هل الإنسان البدائى عرف الدراما، أم أنها لم تنشأ إلا مع بدايات العصر الإغريقى؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال لابد أن نلقى نظرة سريعة على الأزمان السالفة لنبحث عن بدايات الدراما فى التاريخ البشرى.

---

(١) د. إبراهيم سكر (الدراما الإغريقية)

الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة سنة ١٩٦٨، ص٣

إن الإنسان البدائى أو إنسان ما قبل التاريخ، كان يعيش فى صراع مستمر مرير مع قوى الطبيعة من حوله، وذلك من أجل الحصول على ضرورات حياته، من شىء يأكله، ومكان يأوى إليه، وشىء يستر به عورته. وقد عُرف من الإنسان البدائى أنه كان يهوى محاكاة الطبيعة، حيث كانت تلك هواية مفضلة لديه، وقد ساعده على ذلك أنه إنسان يمكن أن يقلد أصواتاً ما، وحركات ما، وإشارات ما، لأنه إنسان يحمل صفات تختلف كثيراً عما حوله من حيوانات. ولما كان الإنسان المتحضر فى الزمن الحاضر - الحديث - يعبر عن انفعالاته المفرحة والمحزنة أيضاً بطريقة غريزية بواسطة أفعال عملية، فمن الطبيعى أن يكون الإنسان البدائى بالرغم من قلة محصوله من أوليات الكلمات الأساسية، قد عبر عن الانفعالات نفسها بالفرحة أو بالحزن بطريقة لا تختلف كثيراً عن إنسان العصر الحديث، إذا أخضعناها لقانون التطور. وقد أورد أرسطو نفسه فى كتابه فن الشعر، «إن المحاكاة أمر فطرى موجود للناس منذ الصغر، والإنسان يفترق عن سائر الأحياء بأنه أكثرها محاكاة، وأنه يتعلم أول ما يتعلم بطريق المحاكاة[1].

ومن البديهى جداً أن تكون الحركة الموزونة هى إحدى الوسائل الشائعة فى التعبير عن أعماق مشاعره فى ذلك الحين، ويرجع ذلك

(١) أرسطو طاليس (فن الشعر) ترجمة: د. شكرى عياد.
الناشر: دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧، ص٣٦

إلى أن الطبيعة نفسها من حوله هى التى أوحت إليه بذلك، فقد رأى الطبيعة تتحرك حركات إيقاعية، متمثلة فى حركات الأمواج المائية، وتموجات الحقول تداعبها الرياح، وظاهرة شروق الشمس وغروبها، ثم ظهور القمر واختفاؤه فى نظام ثابت، حتى دقات قلبه كانت وما تزال تحمل سمة الإيقاع[1]، فكان من الطبيعى أن يدفع ذلك بالإنسان البدائى ليخلق الحركة ويعبر عما يخامره من فرح وبهجة، ومن هنا يكون الرقص هو وسيلة التعبير الأولى فى فن الرجل البدائى. ذلك الرقص الذى «يحاكى الخلق والانفعال والفعل بوساطة الأوزان الحركية»[2].

وكان على الإنسان البدائى أن يصارع الطبيعة من أجل البقاء، فكان لابد أن يجد طعام يومه، فكان يخرج ليصطاد الحيوانات، وعندما يعود بعد اغتنام فريسته فرحاً، يبدأ فى محاكاة ما فعله مع الحيوان حتى اقتنصه وعاد به ظافراً، بحركات صامتة، أليست محاكاته الصامتة هذه تمثيلا صامتاً؟ محاكاته لمن يشاهدونه، ومحاكاته لطريقة صيده لهذا الحيوان، أليس فى هذه المحاكاة صورة مبسطة للدراما؟ بالطبع تعتبر هذه المحاكاة - لدى الإنسان البدائى - بداية

---

(١) شيلدون تشيني (تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة) ترجمة: دريني خشبة، الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة (د. ت) ص١١.

(٢) كتاب (فن الشعر) ص٣٦.

لنشأة الدراما، ولكن فى صورة مبسطة، حيث إن عناصر الدراما لم تكتمل بعد آنذاك. صحيح إن المسرح الإغريقى قد نَظَّر للدراما ووضع لها أسسها، ولكن ليس معنى ذلك أن الدراما بدأت مع بدايات المسرح الإغريقى!! فقد سبق المسرح الإغريقى بقرون عديدة المسرح الفرعونى. صحيح أنه لم ينتشر مثل المسرح الإغريقى لأنه كان سرًّا من أسرار المعبد والكهنة، لكن الوثائق التاريخية والتسلسل المنطقى للتاريخ يؤكدان ذلك.

ولكن، أيضاً ليس المسرح الفرعونى هو البداية الأولى للدراما. فالدراما مرتبطة بالإنسان، والإنسان مرتبط بالأرض منذ هبوط آدم - عليه السلام - من الجنة، فلا بد أن تكون الدراما مرتبطة بالإنسان منذ هذا الوقت حتى الآن، إذن فمن الطبيعى ومن المعقول أن تكون الدراما قد نشأت مع نشأة الإنسان على الأرض.

فإذا كان الإنسان البدائى قد صارع قوى الطبيعة من حوله، يصارع الليل والنهار، الصيف والشتاء، الخير والشر، الحياة والموت، والمطر والقحط، يصارع كل تلك العناصر، التى تمثل بالنسبة له القوى المسيطرة على حياته، وبعد أن لجأ الإنسان البدائى إلى الحركة والمحاكاة، وبدأ يعبر عن رغباته بالرقص والتمثيل الإيمائى الصامت، كان يدرك أن تلك القوى - الطبيعية بعناصرها - هى التى تسيطر عليه، وهى التى يمكن أن تحقق رغباته، فدفعه ذلك إلى أن

يرقص لها ليعبر عما يطلبه منها، وقلد حركاتها وأصواتها، لكى يتوافق مع تلك القوى، عسى أن تتحقق رغباته. وعلى سبيل المثال، هناك رقصة المطر «فالقبيلة فى حاجة إلى المطر الذى يجعل المحصولات تنمو، لكى تحصل على طعام أكثر. ولهذا يكون الرقص ملجأها الأول إلى الآلهة التى تستطيع أن تفيض عليها بكل البركات، إن المطر يجب أن ينهمر ومن ثمة ترقص القبيلة رقصة المطر، ولا تكاد تفعل حتى تتجمع السحب، ويبرق البرق، ويدوى الرعد، وأخيرا ينهال المطر، فما أبدع هذا كله لوحة السعادة.... لأن السماء لا تستطيع أن تمنح نعمة أثمن من نعمة الماء»[1].

وهكذا نجد الإنسان البدائى قد ربط بين الأمطار وخروج النبات من الأرض، وأن فى ذلك ضمانا لبقائه حيًّا على الأرض، إنه لم يفعل ذلك إلا لأنه راقب قوانين الطبيعة من حوله جيدا، فخبرها واستطاع أن يقهرها، وقهره لها جعله يستمر فى محاكاته لهذه القوى الغيبية بالنسبة له.

ومن خلال ذلك نجد أن الطبيعة نفسها هى التى دفعت الإنسان البدائى إلى أن يحاكيها، ومن خلال ذلك نجد أن الدراما كانت تلازم الإنسان البدائى ولكن فى صورة مبسطة جدًّا.

---

(١) كتاب (تاريخ المسرح فى خلال الاف سنة) ص١٦.

فإذا اتفقنا جميعاً وأطلقنا كلمة «دراما» على عنصرى الفعل والتقليد عند الإنسان البدائى، فكيف تطور مدلول تلك الكلمة إلى أن وصل حالها إلى العصر الإغريقى، عصر أرسطوطاليس؟

فبعد أن كان الإنسان البدائى يحاكى ما حوله من قوى الطبيعة، هل استمر فى ذلك وحده؟ أى هل استمر يحاكى تلك القوى؟ طبعاً لا. فقد ظهر بعد ذلك فى تلك الفترة - آنذاك - شخص يجمع بين عدة صفات، بين صفات العالم والمنظم الاجتماعى لأفراد القبيلة وصفات الكاهن فى وقت واحد. فماذا كان دور هذه الشخصية؟ لقد كان «همزة الوصل بين القبيلة أو المجموعة وبين هذه القوى الطبيعية، كان.... يقود حركات المجموعات الراقصة أو حركاتهم التمثيلية الصامتة ويصممها فى البداية، لأن تنفيذها أصبح يحتاج إلى عقلية منظمة بعد أن أخذت الشعائر تأخذ شكلاً رمزيا أكثر تعقيداً من ذى قبل. وبطبيعة الحال، أصبح مثل هذا الشخص يتمتع أكثر من غيره بموهبة الخلق، فهو يخلق الأدوات والمناظر اللازمة للتنفيذ - على بساطتها - فضلاً عن التصميم الأول للرقصة، أو الحركات الصامتة (مايم)»[1].

وبعد ذلك أخذت تلك الشخصية صورة الكاهن الذى يعلم أفراد

---

(١) د. سمير سرحان (البدايات الأولى لتاريخ الدراما) مقال بمجلة المسرح، العدد الثالث - يناير ١٩٦٥م، ص٦٣، ٦٤.

القبيلة أول مبادئ الشعائر والصلاة عن طريق الرقص، لكى يحثوا الآلهة التى تمثل قوى الطبيعة المختلفة على خدمة الإنسان.

وتبعاً لقانون التطور، أصبح الكاهن أو رئيس القبيلة هو المحور الأساسى، أو مركز الثقل فى الشعائر التى كانت تقام، والتى هى بمثابة بذور الدراما، وكان الكاهن أو رئيس القبيلة رمزاً للقوة والسيطرة ليس فى حياته فقط، بل وبعد مماته أيضاً، لأنهم كانوا يعقدون له الشعائر الجنائزية لكى يرضوا روحه ويتقربوا منها.

وبوجود هذه الشخصية الجديدة دخل عنصر الموت فى التعبير الدرامى للرجل البدائى.

وهكذا أيضاً نجد عنصراً من العناصر اللازمة للتراجيديا، فالموت والتعبير عنه قد وجدا آنذاك، وأصبحت خشبة المسرح عندهم هى المقبرة، والممثلون يلعبون أدوار أشباح الموتى أو أرواحهم حول تلك المقبرة[1].

والحيوان كان صورة من صور عبادة القوى الطبيعية، وكان الحيوان يعتبر تجسيماً لوحدة القبيلة وأرواح السلف، وقد تعودت كل قبيلة أن تضحى بحيوان ما، (ثور، أو حصان، أو جدى)، وكانوا يشاركون فى ذبحه وأكل لحمه وشرب دمه، ويعتبر ذلك مظهراً من

---

١ - نفس المرجع السابق ص٦٣، ٦٤.

مظاهر الوحدة، وكانوا يعتبرون ذبح الحيوان المقدس شيئاً خطيراً. وكان عليهم أن يعيدوا الحيوان إلى الحياة، ولكن بطريقة رمزية. فكان الكاهن أو رئيس القبيلة يرتدى جلد الحيوان المذبوح ويرقص به، وبذلك يعتقدون أن الحيوان لا يزال على قيد الحياة، وأنه لا يمكن أن يموت.

وكانوا كلما وصل شاب من الشباب لمرحلة البلوغ، وزاد عدد البالغين واحداً أقاموا له شعائر تدشين. وكانت تقوم أيضاً على الرقص والحركات الصامتة التمثيلية، احتفالا بتدشين شاب جديد وموته كمراهق، كما كانوا يقيمون هذه الشعائر أيضاً كنوع من أنواع التعليم والتثقيف والتحذير من خلال فكرهم البدائى - فكانت بعض الشعائر تقام لحض الشاب على التمسك بتقاليد القبيلة، والتحذير من خرقها، مثل النهى عن القتل والسرقة وما شابه ذلك، لأن فى ذلك هلاك له ولأفراد القبيلة، أليس ذلك صورة من صور الصراع؟

وبذلك نجد أن التعبير الدرامى عند الإنسان البدائى بدأت دائرته تتسع، فبعد أن كانت الدراما عنده لا تعتمد إلا على عنصرى الفعل والتقليد، دخل عنصر الصراع. وبذلك أصبح الكاتب المسرحى الأول يصور المعركة بين الحياة والموت، بين البقاء والزوال، وبين الخير والشر،

ولكن إذا اعتبرنا أن عناصر التقليد والفعل والصراع - الموجودين عند الإنسان البدائى من عناصر الدراما، فهل هذه هى العناصر المطلوبة فقط؟ بالطبع أيضاً لا. فمازال هناك عنصر مفقود، وهو الحبكة تجاوزا أو القصة. فهل كانت القصة موجودة فى محاكاة الإنسان البدائى؟ فإذا كانت موجودة، فهل معنى ذلك أن الإنسان البدائى قد عرف المسرحية؟ أى هل المسرحية قد وجدت بداياتها مع البدايات الأولى لحياة الإنسان البدائى. هل ما قدمه الإنسان كان يحمل طابع القصة؟

إن الذى كان يفعله الإنسان البدائى بعد أن يصطاد حيواناً ما - مثلا - ويعود فرحاً به إلى أفراد قبيلته، كان يحاكى أفراد القبيلة - كما علمنا سلفاً - كيف طارد هذا الحيوان إلى أن استطاع أن يقهره ويصطاده. أليست هذه بدايات للقصة؟ برغم كونها لا تحتوى على أسس وقواعد القصة المتعارف عليها. وعندما كان يقاتل عدوا مثلا من أعدائه - سواء أعداؤه شخصيًّا أو أعداء قبيلته - فكان بعد ذلك أيضاً يحاكى من حوله كيفية تغلبه على هذا العدو، أليست هذه هى القصة عند الإنسان البدائى؟ ولكنها بالطبع ليست القصة التى تعارف عليها أهل هذا النوع من الأدب فى العصر الحديث، بما تتضمنه من أسس وقواعد، بعد أن مرت بمراحل التطور المختلفة، إلى أن اصطلح عليها المختصون فى هذا المجال.

إذن فالإنسان البدائى عرف أيضاً القصة ولكن فى صورة مبسطة جدًا. ثم رويداً رويداً بدأ مجال التعبير الدرامى يتسع شيئا فشيئا. فدخل الإله، والإنسان الذى يرتفع إلى مصاف الآلهة هذا المجال. ومن ثم ظهرت المسرحيات التى تحمل الطابع الدينى، وما أطلق عليها بعد ذلك اسم المسرحيات الدينية المحجبة[1]، أو (مسرحيات الآلام)[2]. وقد نشأت هذه المسرحيات فى مصر الفرعونية، حيث كانت الحضارة المصرية متقدمة جدًا عن أى حضارة أخرى فى جميع أنحاء العالم ويبدو ذلك واضحاً فى (أسطورة إيزيس وأوزوريس)[3]. تلك الأسطورة التى قدمت الصراع بين الخير والشر الممثل فى أوزوريس وأخيه ست.

وكانت المسرحية يتم تمثيلها فى مصر الفرعونية لتمجيد أوزوريس، وكانوا يقدمون كل التفاصيل عن كيفية موت الإله أوزوريس، وندبهم عليه، ثم عثورهم على أشلاء جسده، ثم إعادته للحياة، ثم تنصيبه ملكاً للعالم السفلى، وما إلى ذلك من تفاصيل.

---

(١) أتين دريوتون (المسرح المصرى القديم) ترجمة: د. ثروت عكاشة، الناشر: دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٧م ص. ٣.

(٢) كتاب (تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة) ص ٣٤.

(٣) أسطورة «أيزيس وأوزوريس» انظر: كتاب المسرح المصرى القديم كتاب أساطير فرعونية - كتاب تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة من ص ٣٤ إلى ص ٣٧ - مسرحية (انتصار حورس) مسرحية من المسرح المصرى القديم.

وكذلك كان الحال فى سوريا مع أسطورة «تموز»[1] إله الماء والمحاصيل.

وبتمثيل قصتى أو أسطورتى (إيزيس وأوزوريس) فى مصر، و(تموز) فى سوريا، خطت الدراما خطوات واسعة إلى الأمام، ففى إيزيس وأوزوريس نجد أن المصريين القدماء قد استخدموا القارب كإكسسوار، وهو القارب الذى هاجم فيه الأعداء أوزوريس، بل وتدل الدراسات على أن قدماء المصريين أول من استخدموا المنظر فى أساطيرهم - المتمثل فى منظر السماء - وكانوا يضعونه فوق المدخل لحجرة الأسرار داخل المعبد الذى تقدم فيه الطقوس الدينية والعروض المسرحية آنذاك[2]. هكذا نجد أن الأسطورة دخلت مجال التعبير الدرامى.

ولكن وبالرغم من كل ما مضى، أى بالرغم من وجود التقليد والفعل والصراع والقصة، كانت الدراما فى احتياج شديد إلى عنصرين مهمين بدرجة كبيرة حتى يكتمل معناها الحقيقى، هذان العنصران لم يظهرا، لا فى العصور البدائية، ولا فى مصر الفرعونية،

---

(١) د. سمير سرحان (البدايات الأولى لتاريخ الدرما) مقال بمجلة المسرح العدد الثالث عشر، يناير ١٩٦٥ ص ٦٥.

(٢) إلهامى حسن (تاريخ تطور مسارح) من محاضرة عن المسرح الفرعونى بتاريخ ١٩٧٥/١١/٢٣ لطلبة السنة الثانية القسم العام بالمعهد العالى للفنون المسرحية بالهرم

ولا فى سوريا، بل ولا فى المسرح الشرقى القديم، فى الهند أو الصين أو اليابان[1]. بل لم تشاهد بداياتها إلا فى اليونان القديم، وهما عنصرا الحوار والبطل الإنسان.

وبتطور الدراما بدخول هذين العنصرين، وصلت الدراما إلى صورتها المتكاملة عند اليونانيين القدماء، فهم أول من أدخلوا الإنسان أو البطل الآدمي فى العمل الدرامى، لكى يصارع الآلهة أو القوى الطبيعية المحيطة به، وكذلك هم أول من استخدموا الحوار كأداة تخاطب فى الدراما.

كانت هذه نظرة عامة وسريعة على الدراما ونشأتها من العصور البدائية حتى وصلت إلى العصر الإغريقى، عصر أرسطو، الذى كتب كتابه الكبير العظيم (فن الشعر)، الذى استخلص فيه آراءه واجتهاداته، من خلال مشاهداته لأعمال الكتّاب العظام الذين عاصرهم، من خلال القليل المنشور فإن أرسطو يعتبر فاتحًا لعصر جديد فى الحضارة الإغريقية، ويعتبر موسوعة إغريقية، لأنه كتب فى كل شىء، فهو فيلسوف تأثر بما حوله، ويمتاز بعقلية فريدة فى التصنيف.

وأضحت آراء أرسطو فى كتابه (فن الشعر) بمثابة قوانين للدراما

---

(١) انظر كتاب المسرح فى الشرق - كتاب المسرح اليابانى - كتاب فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية.

على مر العصور، برغم ما لاقت من هجوم بعض الذين أخطئوا تحليلها وشرحها وفهمها، وكانت فى الوقت نفسه، منارًا ينير الطريق للبعض الآخر. وفى أحيان أخرى كانت ولا تزال تثير الجدل والنقاش حول صحتها أو عدم صحتها. ولكن يجب ألا ننسى أبدًا أن هذه آراء واجتهادات شخصية - كما ذكرت - استخلصها أرسطو من خلال الحركة الأدبية والفنية التى كان يعيش وسطها فى عصره، فلا يجب أن نطبق آراءه تطبيقًا أعمى، ولا يجب أن نضرب بها عرض الحائط. بل من الواجب علينا أن ندرسها ونتفهمها جيدًا، ثم نقبل ما نقبله منها، ونرفض ما نشاء، ولكن من خلال وعى ودراسة حتى يأتى الجديد دائمًا إضافة للقديم وليس لمجرد أن يكون جديدا.